

الثَوَابُ العَظِيمُ في كَفَالَةِ اليَتِيمِ

إعداد
أبي عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

الثواب العظيم

في

كَفَالَةِ اليَتِيمِ



دار الفرقان للنشر والتوزيع -١٤٣٨/٢٠١٧

ردمك : ٨-٢٣-٦١٦-٩٩٣١-٩٧٨

الإيداع القانوني: السداسي الثاني، ٢٠١٧

Dar Al-furquan Edition. 2017

ISBN: 978-9931-616-23-8

Dépôt Légal: 2eme semestre. 2017



الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ — ٢٠١٧ م

دار الفرقان للنشر والتوزيع

المقر التجاري: ٢٠ شارع أحمد حسينة

باب الوادي — بجوار مسجد السنة - الجزائر

جوال: ١٠ ٥٨ ٩٦ ٥٥٦ (٠) ٢١٣ ٠٠

dar.alfurquan@gmail.com



كفالة اليتيم

إعداد
أبي عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الْبَرِّ الجَوادِ الكريم، القَابِضِ البَاسِطِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، أَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى فَضْلِهِ العَظِيم، وَإِحْسَانِهِ العَمِيم، وَأَشْهَدُ أنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرَيكَ لَه، أمَرَنا بِصِلَةِ الأرْحَام وَمُواسَاةِ الفُقَراءِ وكَفالَةِ الأيْتَام، وَأَشْهَدُ أنَّ سيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَنْفَقَ مَالَهُ في سَبِيلِ اللهِ، وَفِي الدُّنْيَا لَمْ يَتَوَسَّعْ، وِبِمَلَاذِّها وَشَهَواتِها لَمْ يَتَمَتَّعْ، بَلْ كَرِهَ الحِرْصَ عَلَيْهَا والتَّنافُسَ فِيهَا، وذَمَّ ذَلِكَ وَشَنَّع، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الشَّافِعِ المُشَفَّع، صَاحِبِ الوَسيلَةِ والفَضيلَةِ والمقَامِ الأرْفَع، وعَلَى آلِهِ وأصحابِهِ وَالسَّالِكينَ مَنْهَجَهُ القَوِيمَ وصِراطَهُ المُسْتَقيمَ إِلَى يَوْمِ الدِّين وَبَعْدُ:

إِخْوَانِي فِي الله ... إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي الله.

إِنَّ مِنْ مَحَاسِنِ الشريعة الإِسْلَامِيَّة أَنَّها أَعْطَت لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَهي شريعة التَّكَافُل وَالتَّكَاتُف، وَالتَّكَامُل وَالتَّآلُف.

«فَأَوَامِرُهَا غِذَاء وَدَوَاء، وَنَوَاهِيهَا حِمْيَة وَصِيانَة، وَظَاهِرُهَا زِينَة لِبَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا أَجْمَلُ مِنْ ظَاهِرِهَا، شِعَارُهَا الصِّدْق، وَقِوَامُهَا الحَقّ، وَمِيزَانُهَا العَدْل، وَحُكْمُهَا الفَضْل»[1].

فَقَدْ كَانَ النَّاسُ قَبْلَ بِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَعِيشُونَ جَاهِلِيَّةً جَهْلَاء وَضَلَالَةً عَمْيَاء «قَوْمٌ يَئِدُونَ بَنَاتَهُمْ، وَيَحْرِمُونَ مِنَ الْمِيرَاثِ نِسَاءَهُمْ، ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾

(١) «إِعْلَامُ المُوَقِّعِين» (٣/ ٢٠٧).

وَتُحِبُّونَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ [سُورَةُ الفَجْرِ]، فَقَلَبَ مَقَايِيسَهُمْ، وَعَدَّلَ مَفَاهِيمَهُمْ، فَأَلَانَ قُلُوبَهُمْ وَرَقَّقَ طِبَاعَهُمْ.

وَحَقِيقَةُ هَذَا التَّشْرِيعِ الْإِلَهِيِّ الْحَكِيمِ مُنْذُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا، تَأْتِي فَوْقَ كُلِّ مَا تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ آمَالُ الْحَضَارَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا، (وَمِنَ الشَّرَائِحِ الْمُهِمَّةِ فِي الْمُجْتَمَعِ الَّتِي اعْتَنَى بِهَا الإِسْلَامُ اعْتِنَاءً عَظِيمًا، وَحَثَّ عَلَى الحِرْصِ عَلَيْهَا وَكَفَالَتِهَا: اليَتِيم، وَهَذَا) مِمَّا يُحَقِّقُ كَمَالَ التَّكَامُلِ الاِجْتِمَاعِيِّ بِأَبْهَى مَعَانِيهِ، الْمُنَوِّهِ عَنْهُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، فَجَعَلَ كَافِلَ الْيَتِيمِ الْيَوْمَ، إِنَّمَا يَعْمَلُ حَتَّى فِيمَا بَعْدُ لَوْ تَرَكَ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا، وَعَبَّرَ هُنَا عَنِ الْأَيْتَامِ بِلَازِمِهِمْ، وَهُوَ الضَّعْفُ إِبْرَازًا لِحَاجَةِ الْيَتِيمِ إِلَى الْإِحْسَانِ، بِسَبَبِ ضَعْفِهِ

فَيَكُونُونَ مَوْضِعَ خَوْفِهِمْ عَلَيْهِمْ لِضَعْفِهِمْ، فَلْيُعَامِلُوا الْأَيْتَامَ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، كَمَا يُحِبُّونَ أَنْ يُعَامِلَ غَيْرُهُمْ أَيْتَامَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ.

وَهَكَذَا تَضَعُ الْآيَةُ أَمَامَنَا تَكَافُلًا اجْتِمَاعِيًّا فِي كَفَالَةِ الْيَتِيمِ، بَلْ إِنَّ الْيَتِيمَ نَفْسَهُ، فَإِنَّهُ يَتِيمُ الْيَوْمِ وَرَجُلُ الْغَدِ، فَكَمَا تُحْسِنُ إِلَيْهِ يُحْسِنُ هُوَ إِلَى أَيْتَامِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَ الْخَيْرُ بِالْخَيْرِ وَالْبَادِئُ أَكْرَمُ، وَإِنْ شَرًّا كَانَ بِمِثْلِهِ وَالْبَادِئُ أَظْلَمُ.

وَمَعَ هَذَا الْحَقِّ الْمُتَبَادَلِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَحُثُّ عَلَيْهِ وَيَعْنِي بِهِ، وَرَغَّبَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَأَجْزَلَ الْمَثُوبَةَ عَلَيْهِ، وَحَذَّرَ مِنَ الْإِسَاءَةِ عَلَيْهِ، وَشَدَّدَ الْعُقُوبَةَ فِيهِ»[٢].

---

(٢) «أَضْوَاءُ البَيَان» (٦/ ٧٣).

فَالْيُتْم: أَحْزَانٌ وَأَشْجَان..وَالكَفَالَة: عَطْفٌ وَحَنَان.

الْيُتْمُ: دُمُوعُ أَلَم.. وَالكَفَالَة: رُوحُ أَمَل.

الْيُتْمُ: جَنَاحٌ مَكْسُور..وَالكَفَالَة تِجَارَةٌ لَنْ تَبُور.

قَالَ العَلَّامَة ابن بَاز رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لَا رَيْبَ أَنَّ اليَتِيمَ وَالمِسْكِينَ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِالرِعَايَةِ وَالعِنَايَة، وَقَدْ أَكْثَرَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ العَظِيم مِنَ الحَثِّ عَلَى الإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا وَرَحْمَتِهِمَا وَمُوَاسَاتِهِمَا؛ فَجَدِيرٌ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ الإِحْسَانُ إِلَى مَنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُمَا مِنْ أَيْتَامِ المُسْلِمِينَ وَفُقَرَائِهِمْ؛ فَإِنَّ الصَّدَقَةَ فِي هَؤُلَاء فِي مَحَلِّهَا مِنَ الزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا...

وَاليَتِيمُ هُوَ الَّذِي فَقَدَ أَبَاهُ وَهُوَ صَغِيرٌ لَمْ يَبْلُغْ الحُلُم، فَإِذَا

بَلَغَ الحُلُمَ زَالَ عَنْهُ وَصْفُ اليَتِيم(٣)، وَقَدْ يَفْقِدُ أَبَوَيْهِ جَمِيعًا فَيَكُونُ أَشَدَّ فِي حَاجَتِه وَأَعْظَمَ فِي ضَرُورَتِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ إِذَا فَقَدَهُمَا وَلَمْ يُخَلِّفَا مَا يَكْفِيه، أَمَّا إِذَا خَلَّفَا لَهُ مَالًا يَقُومُ بِحَالِه، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ مَحَلًّا لِلْصَّدَقَةِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَحَلًّا لِلْرِّعَايَةِ وَالعِنَايَةِ بِمَالِه وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْمُوَ هَذَا المَالُ وَيُحْفَظُ، وَهُوَ كَذَلِكَ يَكُونُ مَحَلَّ العِنَايَةِ مِنْ حَيْثُ التَّرْبِيَّة وَالتَّوْجِيه وَالتَّعْلِيم وَالصِّيَانَةِ عَمَّا لَا يَنْبَغِي، فَاليَتِيمُ فِي حَاجَةٍ مِنْ جِهَةِ تَرْبِيَتِهِ التَّرْبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّة وَتَوْجِيهِهُ وَإِرْشَادِهُ، وَإِذَا كَانَ لَا مَالَ لَهُ كَانَ مُحْتَاجًا أَيْضًا إِلَى

---

(٣) عن عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلاَمٍ ..» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٢٨٧٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (٣١٨٠).

المَال»[٤].

وَلِهَذَا جَاءَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ المُخْتَصَرَةُ فِي التَّرْغِيبِ لِلاهْتِمَام بِالأَيْتَام وَالإِحْسَان إِلَيْهِم، وَمَدِّ يَدِ العَوْنِ إِلَيْهِمْ بِكُلِّ مَا نَسْتَطِيعُ؛ فَاليَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَاب، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَل.

وَصَدَقَ الله القَائِل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ].

«فَيَنْبَغِي لِمَنْ قَدَرَ عَلَى ابْتِدَاءِ المَعْرُوفِ أَنْ يُعَجِّلَهُ .. وَيَعْتَقِدَ أَنَّهُ مِنْ فُرَصِ زَمَانِهِ، وَغَنَائِمِ إِمْكَانِهِ، وَلَا يُمْهِلُهُ ثِقَةً بِالقُدْرَةِ عَلَيْه، فَكَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِقُدْرَة فَاتَتْ فَأَعْقَبَتْ نَدَمًا،

(٤) «مَجْمُوعُ فَتَاوِيه» (١٤/ ٣٢٩).

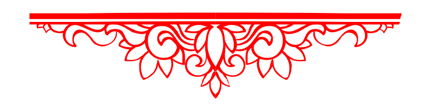
وَمُعَوِّل عَلَى مُكْنَةٍ زَالَتْ فَأَوْرَثَتْ خَجَلًا، وَلَوْ فَطِنَ لِنَوَائِبِ دَهْرِه، وَتَحَفَّظَ مِنْ عَوَاقِبِ فِكْرِه، لَكَانَتْ مَغَارِمُهُ مَدْحُورَة، وَمَغَانِمُهُ مَحْبُورَة، وَقِيلَ: مَنْ أَضَاعَ الفُرْصَةَ عَنْ وَقْتِهَا فَلْيَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ فَوْتِهَا»[٥].

اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا فَضْلَكَ وَكَرَمَكَ وَجُودَكَ؛ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيم رَحْمَنٌ رَحِيم.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr



(٥) «فَيْضُ القَدِير» (٤/ ٢٧٢).

فَضْلُ كَفَالَةِ اليَتِيم

كَمْ مِنْ يَتِيمٍ يَتَرَقْرَقُ الدَّمْعُ فِي عَيْنَيْهِ.. وَتَتَسَارَعُ نَبَضَاتُ قَلْبِهِ مَمْزُوجَةً بِالحَسَرَاتِ مَعَ الزَّفَرَاتِ..لَا يَجِدَ النَّبِيه الَّذِي يُوَاسِيهِ فَقْدَ أَبِيه؟!

وَكَمْ مِنْ أَرْمَلَةٍ آلَمَهَا وَأَقَضَّ مَضْجَعَهَا أَنِينُ أَبْنَائِهَا وَصُرَاخُ بَنَاتِهَا..بَعْدَ أَنْ كَشَّرَ الفَقْرُ بِأَنْيَابِهِ وَعَضَّهُمْ الجُوعُ بِأَسْنَانِهِ؟!

فَكُنْ يَدَ العَوْنِ الحَانِيَة وَبَلْسَمَ الجِرَاح وَرُوحَ الأَفْرَاح الَّتِي تُحْيِي السَّعَادَة فِي قُلُوبِ المَسَاكِين ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ].

فَالقَلْبُ إِذَا تَدَثَّرَ بِالصَّفَاء وَلَبِسَ ثَوْبَ النَّقَاء تَجَمَّلَتْ الكَفُّ بِحِلْيَةِ السَّخَاء وَنطَقَ اللِّسَانُ مَسْرُورًا: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ⑨﴾ [سُورَةُ].

• كَافِلُ اليَتِيم جَارُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الجَنَّةِ:

عَنْ سَهْلِ بن سعدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا»[٦].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ بَطَّال رَحِمَهُ اللهُ: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ يَسْمَعُ هَذَا الحَدِيث أَنْ يَرْغَبَ فِي العَمَلِ بِهِ لِيَكُونَ فِي الجَنَّةِ رَفِيقًا لِلْنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِجَمَاعَةِ النَّبِيِّين وَالمُرْسَلِين صلوات الله عليهم

(٦) رَوَاهُ البُخَارِي (٥٣٠٤).

أجمعين وَلَا مَنْزِلَةَ عِنْدَ اللهِ فِي الآخِرَةِ أَفْضَل مِنْ مُرَافَقَةِ الأَنْبِيَاء»[٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ»، وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[٨].

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيّ رحمه الله فِي شَرْحِهِ لِلحَدِيث:

«كَافِلُ اليَتِيم القَائِم بِأُمُورِه مِنْ نَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ وَتَأْدِيبٍ وَتَرْبِيَةٍ وَغَيرِ ذَلِك، وَهَذِهِ الفَضِيلَةُ تَحْصُلُ لِمَنْ كَفَلَهُ مِنْ مَالِ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ مَالِ اليَتِيم بِوِلَايَةٍ شَرْعِيَّةٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (لَهُ أَوْ لِغَيْرِه) فَالَّذِي لَهُ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا لَهُ

(٧) «شَرْحُ صَحِيح البُخَارِي» (٩/ ٢١٧).

(٨) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٩٨٣).

كَجَدِّهِ وَأُمِّهِ وَجَدَّتِهِ وَأَخِيهِ وَأُخْتِهِ وَعَمِّهِ وَخَالِهِ وَعَمَّتِهِ وَخَالَتِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَقَارِبِهِ، وَالَّذِي لِغَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ أَجْنَبِيًّا»[٩].

قَالَ العُلَمَاءُ: «لَعَلَّ الحِكْمَةَ فِي كَوْنِ كَافِلِ اليَتِيمِ يُشْبِهُ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ أَوْ شُبِّهَتْ مَنْزِلَتُهُ فِي الجَنَّةِ بِالقُرْبِ مِنَ النَّبِيِّ [ﷺ] أَوْ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ [ﷺ] لِكَوْنِ النَّبِيِّ [ﷺ] شَأْنُهُ أَنْ يُبْعَثَ إِلَى قَوْمٍ لَا يَعْقِلُونَ أَمْرَ دِينِهِمْ فَيَكُونُ كَافِلًا لَهُمْ وَمُعَلِّمًا وَمُرْشِدًا، وَكَذَلِكَ كَافِلُ اليَتِيمِ يَقُومُ بِكَفَالَةِ مَنْ لَا يَعْقِلُ أَمْرَ دِينِهِ بَلْ وَلَا دُنْيَاه وَيُرْشِدُهُ وَيُعَلِّمُهُ وَيُحْسِنُ أَدَبَهُ فَظَهَرَتْ مُنَاسَبَةُ ذَلِكَ»[١٠].

(٩) «شَرْحُ النَّوَوِي عَلَى مُسْلِم» (١٨/ ١١٣).

(١٠) «فَتْحُ البَارِي» (١٠/ ٤٣٧).

• وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّة:

عَن زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى يُحَدِّثُ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو مَالِكٍ أَوِ ابْنُ مَالِكٍ، سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ مُسْلِمِينَ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ..»(١١).

قوله ﷺ: «ضَمَّ يَتِيمًا» «أَيْ تَكَفَّلَ بِمَؤُونَتِهِ وَمَا يَحْتَاجُهُ»(١٢).

ومَعْنَى وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّة:

---

(١١) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِه (٩٢٦)، وَالطَّبَرَانِيّ فِي «المُعْجَمِ الكَبِير» (٦٧٠)، وَقَالَ الأَلْبَانِيّ فِي «صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب» (٢٥٤٣) صَحِيح لِغَيْرِه.

(١٢) «التَّيْسِير بِشَرْحِ الجَامِعِ الصَّغِير» (٢/ ٨٣٠).

قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّد بن صَالَح العُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ: حَقَّتْ لَهُ، وَالَّذِي أَوْجَبَ ذَلِكَ هُوَ الله؛ لِأَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بَلَّغَ ذَلِكَ»(١٣).

- كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»(١٤).

الأَرْمَلَة: المَرْأَةُ الضَّعِيفَةُ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا، وَقِيل: هِيَ الَّتِي مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِذَهَابِ زَادِهَا

(١٣) «التَّعْلِيقُ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِم» (٢/ ٣٢).

(١٤) رَوَاهُ البُخَارِي (٥٣٥٣)، وَمُسْلِم (٢٩٨٢).

بِفَقْدِه[١٥].

- **تَفْرِيجُ الكُرُوب وُتُلْيِينُ القُلُوب:**

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ يَشْكُو قَسْوَةَ قَلْبِهِ.

قَالَ: «أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ وَتُدْرِكَ حَاجَتَكَ؟

اِرْحَمْ اليَتِيمَ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، يَلِنْ قَلْبُكَ، وَتُدْرِكْ حَاجَتَكَ»[١٦].

---

(١٥) تَنْبِيهٌ: وَجْهُ ذِكْرِ هَذَا الحَدِيث أَنَّ الأَرْمَلَةَ فِي الغَالِبِ الَّتِي تَفْقِدُ زَوْجَهَا وَيَكُونُ يَتَامَى تَحْتَ مَسْؤُولِيَتِهَا بَعْدَ فَقْدِ أَبِيهِمْ، وَقَدَ لَا تَجِدُ مَنْ يَعُولُهَا مَعَ أَبْنَائِهَا إِلَّا أَهْلَ الخَيْرِ وَالإِحْسَان مِنْ أَهْلِ الإِيمَان، وَاللهُ المُوَفِّق.

(١٦) رَوَاهُ الطَّبَرَانِي، وَقَالَ الأَلْبَانِي: حَسَنٌ لِغَيْرِهِ فِي «صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب» (٢٥٤٤).

إِشَارَةٌ إِلَى زِيَارَة:

مَا أَجْمَلَهَا مِنْ أَوْقَات.. وَأَحْلاَها مِنْ لَحَظَات.. حِينَ تَطْرُقُ أَبْوَابَ الفُقَرَاء وَالمَسَاكِين.. اليَتَامَى وَالمُعْوَزِّين..

بُيُوتٌ ضَرَبَ فِيهَا الفَقْرُ بِمِطْرَقَتِه..أَرْسَلَ الجُوعُ سِهَامَه، وَالمَرَضُ رِمَاحَه..

إِنَّهَا بُيُوتٌ هُجِرَتْ.. تُرِكَتْ.. نُسِيَتْ.. أُهْمِلَتْ..

بَلْ ضَرَبَتْ العَنْكَبُوتُ بِخُيُوطِهَا عَلَى نَوَافِذِهَا..

بُيُوتٌ جُدْرَانُهَا أَحْزَان.. أَبْوَابُهَا أَشْجَان..

أَرْضُهَا هُمُوم.. سَقْفُهَا غُمُوم..

فَيَا أَيُّهَا الحَبِيب اللَّبِيب القَرِيب..

اطْرُقْ أَبْوَابَهُمْ.. امْسَحْ دَمْعَتَهُمْ.. سُدَّ جَوْعَتَهُمْ.. أَذْهِبْ رَوْعَهُمْ.. وَلاَ تَحْسَبَنَّ ذَلِكَ بِثَرْوَةٍ كَبِيرة.. وَإِعَانَاتٍ غَزِيرَة..

فَهُمْ يَرْضَوْنَ بِاليَسِير اليَسِير..

أَيْ عَبْدَ الله اسْتَمِدّ القُوَّة مِنْ ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾.

عَامِلْهُمْ بِحُبٍّ وَحَنَان «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَان..».

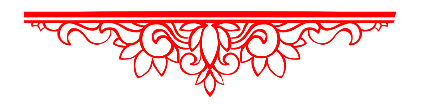
وَتَذَكَّرْ دَائِمًا وَأَبَدًا الإِخْلَاص لله ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾.

إِخْوَانُكُمْ يُنَادُونَكُمْ وَيَسْأَلُونَكُمْ:

اليَتِيمُ يُنَادِيكُمْ: قَرِّبُونِي.. قبِّلُونِي.. أَطْعِمُونِي.. أَلْبِسُونِي..

ارْحَمُونِي.. احْمُونِي.. احْرِسُونِي..

وَالفَقِيرُ يَقُولُ لَكُمْ: عَاوِنُونِي.. أَعِينُونِي .... سَاعِدُونِي..



فَوائِدُ كَفالَةِ اليَتِيم

اعْلَمْ أَخِي المُسْلِم أَنَّ مِنْ نِعَمِ الله عَلَيْكَ أَنْ يُوَفِّقَكَ إِلَى كَفَالَةِ يَتِيمٍ أَوْ مَنْ كَانَ فِي حُكْمِهِ، وَقَدْ رَتَّبَ الشَّرْعُ الحَكِيمُ جُمْلَةً مِنَ الفَوائِدِ الَّتِي تَتَحَقَّقُ لَكَ وَلِلْمُجْتَمَعِ عِنْدَ قِيامِكَ أَوْ أَحَدِ أَفْرَادِ المُسْلِمِينَ بِكَفَالَتِهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ؛ وَمِنْ هَذِهِ الفَوَائِد:

(١) كَفَالَةُ اليَتِيمِ مِنْ قِبَلِ المُسْلِمِ تُؤَدِّي إِلَى مُصَاحَبَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي الجَنَّةِ بِإِذْنِ الله وَكَفَى بِذَلِكَ شَرَفًا وَفَخْراً.

(٢) كَفَالَةُ اليَتِيمِ وَالإِنْفَاقُ عَلَيْهِ وَتَرْبِيَتُه وَالعِنَايَةُ بِهِ تَدُلُّ عَلَى طَبْعٍ سَلِيمٍ وَفِطْرَةٍ نَقِيَّةٍ وَقَلْبٍ رَحُومٍ.

(٣) كَفَالَةُ اليَتِيمِ وَالمَسْحُ عَلَى رَأْسِهِ وَتَطْيِيبُ خَاطِرِهِ تُؤَدِّي إِلَى تَرْقِيقِ القَلْبِ وَتُزِيلُ القَسْوَةَ عَنْهُ .

(٤) كَفَالَةُ اليَتِيمِ تَعُودُ عَلَى صَاحِبِهَا بِالخَيْرِ الجَزِيلِ وَالفَضْلِ العَظِيمِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَضْلاً عَنْ الآخِرَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ]، أَيْ هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ فِي عِبَادَةِ الخَالِقِ، وَنَفْعِ عَبِيدِه، إِلَّا أَنْ يُحْسِنَ خَالِقُهُ إِلَيْهِ بِالثَّوَابِ الجَزِيلِ، وَالفَوْزِ الكَبِيرِ وَالعَيْشِ السَّلِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

(٥) كَفَالَةُ اليَتِيمِ تُسَاهِمُ فِي بِنَاءِ مُجْتَمَعٍ سَلِيمٍ خَالٍ مِنَ الحِقْدِ وَالكَرَاهِيَّةِ وَتَسُودُ فِيه رُوحُ المَحَبَّةِ وَالمَوَدَّةِ؛ قَالَ ﷺ: «**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ**

بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »[١٧].

(٦) فِي إِكْرَامِ اليَتِيمِ وَالقِيَامِ بِأَمْرِهِ وَرِعَايَتِهِ وَالعِنَايَةِ بِهِ وَكَفَالَتِهِ إِكْرَامٌ لِمَنْ شَارَكَ الرَّسُولَ ﷺ فِي صِفَةِ اليُتْمِ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّتِهِ ﷺ.

(٧) كَفَالَةُ اليَتِيمِ تُزَكِّي مَالَ المُسْلِمِ وَتُطَهِّرُهُ وَتَجْعَلُ هَذَا المَالَ نِعْمَ الصَاحِبُ لِلْمُسْلِمِ[١٨].

(٨) كَفَالَةُ اليَتِيمِ مِنَ الأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ الَّتِي أَقَرَّهَا الإِسْلَامُ وَامْتَدَحَ أَهْلَهَا .

---

(١٧) رَوَاهُ البُخَارِي (٦٠١١) بِهَذَا اللَّفْظ، وَرَوَاهُ مُسْلِم (٢٥٨٦).

(١٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ» رَوَاهُ البُخَارِي (١٤٦٥)، وَمُسْلِم (١٠٥٢).

(٩) فِي كَفَالَةِ اليَتِيمِ بَرَكَةٌ عَظِيمَةٌ تَحُلُّ عَلَى الكَافِلِ، وَتَزِيدُ فِي رِزْقِهِ بِإِذْنِ الله.

(١٠) كَفَالَةُ اليَتِيمِ تَجْعَلُ البَيْتَ الَّذِي فِيهِ اليَتِيمُ مِنْ خَيْرِ البُيُوتِ ...

(١١) فِي كَفَالَةِ اليَتِيمِ حِفْظٌ لِذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ وَقِيَامِ الآخِرِينَ بِالإِحْسَانِ إِلَى أَيْتَامِكَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ][١٩].

فَكَافِلُ اليَتِيمِ اليَوْمَ إِنَّمَا يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ لَوْ تَرَكَ ذُرِّيَّةً

---

(١٩) قَالَ الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَة: «أَيْ: كَمَا تُحِبُّ أَنْ تُعَامَلَ ذُرِّيَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ، فَعَامِلْ النَّاسِ فِي ذُرِيَّاتِهِمْ إِذَا وَلَّيْتَهُم» «تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيمِ» (٢/ ٢٢٢).

ضِعَافًا، فَكَمَا تُحسِنُ إِلَى اليَتِيمِ اليَوْمَ يُحْسَنُ إِلَى أَيْتَامِكَ فِي الغَدِّ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ[٢٠].

وَبِكُلِّ حَالٍ أَخِي الحَبِيب لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَشْعِرَ هَذِهِ الفَوَائِدَ الدُّنْيَوِيَّة المُتَرَتِّبَةِ عَلَى كَفَالَةِ اليَتِيمِ، وَجَعْلُهُ يَعِيشُ فِي كَنَفِ أُسْرَتِكَ إِلَّا بَعْدَ التَّطْبِيقِ العَمَلِي لِهَذَا المَشْرُوعِ الخَيِّرِ وَقِيَامِك بِكَفَالَةِ أَحِدِ الأَيْتَامِ، وَسَتَجِدُ الخَيْرَ كُلَّ الخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ بِإِذْنِ الله»[٢١].

وَلَقَدْ فقه السَّلَفُ الصَّالِحُ هَذِه المَنْزِلَة العَالِيَة وَالمَكَانَة

(٢٠) كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرْ عَنْ دَاوُد عليه السلام: «كُنْ لِلْيَتِيم كَالأَبِ الرَّحِيم، وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ كَذَلِكَ تَحْصَدُ» رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣٨)، وَهُو (صَحِيحُ الإِسْنَاد).

(٢١) «فَضْلُ رِعَايَةِ اليَتِيم» (ص١٣).

الغَالِيَة فتَسَابقُوا فِيهَا وَسَعوا إِلَى تَحْقِيقِهَا:

- رَوَى البُخَارِي فِي «الأَدَب المُفْرَد»[٢٢]:

«أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا وَعَلَى خِوَانِهِ[٢٣] يَتِيمٌ».

وَوَصَفَ الله تَعَالَى عِبَادَهُ الأَبْرَار فَقَال عَنْهُم:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [سُورَةُ].

- «عَنْ حَمَّاد بن أَبِي حَنِيفة قَالَ: قَالَتْ مَوْلَاة لِدَاود الطَّائِي:

(٢٢) برقم (١٣٦).

(٢٣) الخِوَانُ: «ما يُؤْكَلُ عليه الطَّعامُ» «تَاجُ العَرُوس» (٣٤/ ٥٠١).

يَا دَاوُد لَوْ طَبَخْتُ لَكَ دسمًا.

قَالَ: فَافْعَلِي.

فَطَبَخَتْ لَهُ شَحْمًا ثُمَّ جَاءَتْهُ بِهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا فَعَلَ أَيْتَامُ بَنِي فُلَانٍ؟

قَالَتْ: عَلَى حَالِهِمْ.

قَالَ: اذْهَبِي بِهِ إِلَيْهِمْ.

فَقَالَتْ لَهُ: فَدَيْتُكَ إِنَّمَا تَأْكُلُ هَذَا الخُبْزَ بِالمَاءِ؟!

قَالَ: إِنِّي إِذَا أَكَلْتُهُ كَانَ فِي الحُشِّ، وَإِذَا أَكَلَهُ هَؤُلَاءِ الأَيْتَام كَانَ عِنْدَ اللهِ مَذْخُورًا»[٢٤].

• وَذُكِرَ فِي تَرْجَمَةِ «القَاضِي الخَيَّاط الإِمَام المُحَدِّث الحَافِظ، القَاضِي الوَرِع، أَبُو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّد ابْنُ عَلِيّ

---

(٢٤) «صِفَةُ الصَّفْوَة» (٣/ ١٣٤).

المَرْوَزِي، أَحَدُ السَّادَات وَالأَوْلِيَاء.

عُرِفَ بِالخَيَّاطِ لِأَنَّهُ كَانَ يَخِيطُ عَلَى الأَيْتَام وَالمَسَاكِين حِسْبَة»[٢٥].

• «وَقَالَ الحَاكِم: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: كَانَ القَاضِي مُحَمَّد بنُ عَلِيّ المَرْوَزِي طُولَ أَيَّامِهِ يَسْكُنُ دَارَ ابْنِ حَمْدُون بِحذَاء دَارِنَا، وَكُنْتُ أَعْرِفُه يَخِيطُ بِاللَّيْل، وَإِذَا تَفَرَّغَ بِالنَّهَار لِلأَيْتَامِ وَالضُّعفَاء، وَيَعُدُّهَا صَدَقَةً»[٢٦].

• وَ«الإِمَامُ، القُدْوَةُ، العَابِدُ، الزَّاهِدُ، شَيْخُ العَارِفِين، أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الحَسَنْ عَلِيّ..الرِّفَاعِي المَغْرِبِي ثُمَّ البَطَائِحِي..

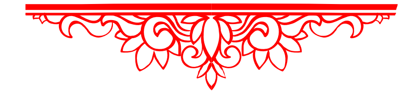
---

(٢٥) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء» (١٤/ ٥٦٤).

(٢٦) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء» (١٤/ ٥٦٥).

قِيلَ: كَانَ شَافِعِيًّا يَعْرِفُ الفِقْهَ.

وَقِيلَ: كَانَ يَجْمَعُ الحَطَبَ، وَيَجِيءُ بِهِ إِلَى بُيُوتِ الأَرَامِلِ، وَيَمْلَأُ لَهُمْ بِالجَرَّة»[٢٧].



(٢٧) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء» (٢١/ ٧٩).

بِمَا يَـكُونُ الإِحْسَانُ إِلَى اليـَتِيمِ؟

يَكُونُ بِعِدَّةِ أَشْيَاءٍ مَادِّيَّة وَمَعْنَوِيَّة، وَكُلٌّ مِنْهَا تَصْلُحُ أَنْ تُسَمَّى إِحْسَانًا..

مِنْهَا: إِطْعَامُهُ الطَّعَام اللَّائِق، وَكِسْوَتُهُ اللِّبَاس السَّاتِر، وَالقِيَامُ عَلَى حَاجَاتِهِ الضَّرُورِيَّة كَمُدَاوَاته وَإِسْكَانِه..

وَمِنْهَا: مَسْحُ رَأْسِهِ، وَإِشْعَارُهُ بِالرَّحْمَةِ وَالحَنَانِ، وَإِسْمَاعُهُ الكَلَام الطَّيِّب وَفِي ذَلِك أَثَرٌ كَبِيرٌ عَلَى نَفْسِ اليَتِيم.

وَمِنْهَا: الإِنْفَاقُ عَلَيْهِ فِي تَعْلِيمِهِ وَدِرَاسَتِهِ مِنْ أَدَوَاتٍ مَدْرَسِيَّةٍ وَثِيَابٍ سَاتِرَةٍ، لِيَكُونَ تِلْمِيذًا نَاجِحًا؛ كَمَا يَحْرِصُ

الوَاحِدَ مِنَّا عَلَى تَعْلِيمِ وَلَدِهِ.

وَمِنْهَا: الإِخْلَاصُ فِي تَرْبِيَتِهِ وَبَيَانِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ مِنْ غَيْرِهِ؛ كَإِرْشَادِهِ لِلصَّلَاةِ وَالأَخْلَاقِ الحَسَنَةِ، وَالحِجَابِ بِالنِّسْبَةِ لِلْفَتَاةِ مَعَ بَيَانِ طُرُقِ الضَّلَالِ كَالمُخَدِّرَاتِ وَالمُسْكِرَاتِ، وَأَنْ يُخْلِصَ فِي ذَلِكَ كَإِخْلَاصِهِ فِي تَرْبِيَةِ وَلَدِهِ[(٢٨)].

تَصْحِيح وَتَوْضِيح: الكَفَالَةُ لَيْسَتْ أَمْوَالٌ تُدْفَعُ فَحَسْب.. بَلْ قَلْبٌ يَنْبُضُ بِالحُبّ.

هِيَ طِيبُ كَلَامٍ وَحَنَان، عَطْفٌ وَإِحْسَان، رَحْمَةٌ وَأُلْفَة، مَحَبَّةٌ وَرَأْفة.

بِاخْتِصَار: يَحْتَضِنُهُ المُجْتَمَع لِيَشْعُر بِالأَمْنِ وَالأَمَان،

---

(٢٨) «الإِحْسَانُ إِلَى اليَتِيم» (ص١٣) بِتَصَرُّفٍ يَسِير.

وَالسَّعَادَة وَالاطْمِئْنَان.

فَمُرَاعَاةُ الجَانِبِ النَّفْسِي لِلْيَتِيمِ مُهِمٌّ جِدًّا، وَقَدْ جَاءَ تَوْضِيحُ ذَلِكَ فِي العَدِيدِ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّة:

«**أَوَّلًا**: عدَمُ مَسَاءَتِهِ فِي نَفْسِهِ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [سُورَةُ الماعون].

وَمِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾ [سُورَةُ الفَجْرِ]، فَقَدَّمَ إِكْرَامَهُ إِشَارَةً لَهُ.

ثَانِيًا: فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ : ٨٣]، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِ كَمَا يُحْسِنُ لِوَالِدَيْهِ وَلِذِي الْقُرْبَى.

وَمِنْهَا سُؤَالُ وَجَوَابُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ : ٢٢٠]، أَيْ: تُعَامِلُونَهُمْ كَمَا تُعَامِلُونَ الْإِخْوَانَ، وَهَذَا أَعْلَى دَرَجَاتِ الْإِحْسَانِ وَالْمَعْرُوفِ؛ وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾.

وَفِي تَقْدِيمِ ذِكْرِ الْمُفْسِدِ عَلَى الْمُصْلِحِ: إِشْعَارٌ لِشِدَّةِ التَّحْذِيرِ مِنَ الْإِفْسَادِ فِي مُعَامَلَتِهِ، وَلِأَنَّهُ مَحَلُّ التَّحْذِيرِ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ جَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَوْلَادِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟

ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴿٩﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ :٩].

أَيْ: حَتَّى فِي مُخَاطَبَتِهِمْ إِيَّاهُمْ لِأَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَوْلَادِهِمْ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ لَهُمْ أَوْلَادٌ فِيمَا بَعْدُ أَيْتَامًا مِنْ بَعْدِهِمْ، فَكَمَا يَخْشَوْنَ عَلَى أَوْلَادِهِمْ إِذَا صَارُوا أَيْتَامًا مِنْ بَعْدِهُمْ، فَلْيُحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الْأَيْتَامِ فِي أَيْدِيهِمْ، وَهَذِهِ غَايَةُ دَرَجَاتِ الْعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ.

تِلْكَ هِيَ نُصُوصُ الْقُرْآنِ فِي حُسْنِ مُعَامَلَةِ الْيَتِيمِ وَعَدَمِ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ، مِمَّا يُفَصِّلُ مُجْمَلَ قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾﴾ [سُورَةُ الضُّحَىٰ] .

لَا بِكَلِمَةٍ غَيْرِ سَدِيدَةٍ، وَلَا بِحِرْمَانِهِ مِنْ شَيْءٍ يَحْتَاجُهُ، وَلَا بِإِتْلَافِ مَالِهِ، وَلَا بِالتَّحَيُّلِ عَلَى أَكْلِهِ وَإِضَاعَتِهِ، وَلَا

بِشَيْءٍ بِالْكُلِّيَّةِ، لَا فِي نَفْسِهِ وَلَا فِي مَالِهِ»[٢٩].

قَالَ أَهْلُ العِلْمِ: «قَوِّ الْإِكْرَامَ عَلَى الْأَيْتَامِ لِتَشُوبَ مَرَارَةَ يُتْمِهِمْ حَلَاوَةُ التَّحَنُّنِ.

كَانَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللهُ يُذْهِبُونَ حُزْنَ الْأَيْتَامِ وَالْأَرَامِلِ، وَيُزِيلُونَ ذُلَّ الْيَتِيمِ بِأَنْوَاعِ الْبِرِّ؛ حَتَّى صَارُوا كَالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ لِلْيَتِيمِ، لَا يَتْرُكُونَهُ يُضَامُ وَيَتَنَاضَلُونَ عَنْهُ، وَفِي الْجُمْلَةِ: الْكِرَامُ لَا يَبِينُ بَيْنَهُمْ يُتْمُ أَوْلَادِ الْجِيرَانِ، وَلَا النَّازِلُ مِنْ الْقَاطِنِينَ»[٣٠].

قِصَّةٌ مُؤَثِّرَةٌ:

«مِمَّا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ:

(٢٩) «أَضْوَاءُ البَيَان» (٦/ ٧١).

(٣٠) « الآدَابُ الشَّرْعِيَّة والمِنَح المَرْعِيَّة» (٢/ ٣٧١).

كُنْتُ فِي بِدَايَةِ أَمْرِي مُكِبًّا عَلَى المَعَاصِي وَشُرْبِ الخَمْرِ، فَظَفِرْتُ يَوْمًا بِصَبِيٍّ يَتِيمٍ فَقِيرٍ فَأَخَذْتُهُ وأَحْسَنْتُ إِلَيْهِ وَأَطْعَمْتُهُ وَكَسَوْتُهُ وَأَدْخَلْتُهُ الحَمَّامَ وَأَزَلْتُ شَعَثَهُ وَأَكْرَمْتُهُ كَمَا يُكْرِمُ الرَّجُلُ وَلَدَهُ؛ بَلْ أَكْثَر فَبِتُّ لَيْلَةً بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنَّ القِيَّامَةَ قَامَتْ وَدُعِيتُ إِلَى الحِسَابِ وَأُمِرَ بِي إِلَى النَّارِ لِسُوءِ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ المَعَاصِي، فَسَحَبَتْنِي الزَّبَانِيَة لِيَمْضُوا بِي إِلَى النَّارِ وَأَنَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَقِيرٌ ذَلِيلٌ يَجُرُّونِي سَحْبًا إِلَى النَّارِ وَإِذَا بِذَلِكَ اليَتِيم قَدْ اعْتَرَضَنِي بِالطَّرِيقِ وَقَالَ: خَلُّو عَنْهُ يَا مَلَائِكَةَ رَبِّي حَتَّى أَشْفَعَ لَهُ إِلَى رَبِّي فَإِنَّهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيَّ وَأَكْرَمَنِي.

فَقَالَتْ المَلَائِكَةُ: إِنَّا لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ؛ وَإِذَا النِّدَاءُ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى يَقُولُ: خَلُّوا عَنْهُ فَقَدْ وَهَبْتُ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ بِشَفَاعَةِ

اليَتِيمِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَاسْتَيْقَظْتُ وتُبْتُ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَبَذَلْتُ جُهْدِي فِي إِيصَالِ الرَّحْمَةِ إِلَى الأَيْتَامِ»[٣١].

وَلَكِنْ الحَذَرَ كُلّ الحَذَر:

فـ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

إِنَّهُ تَهْدِيد شَدِيد أَكِيد لِكُلِّ مَنْ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ ظُلْمَ اليَتِيم وَأَكْلَ مَالِهِ جُورًا وَزُورًا.

قَالَ العَلَّامَةُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَنْ أَكَلَهَا ظُلْمًا فـ ﴿إِنَّمَا

(٣١) «الكَبَائِرُ» (ص٦٥).

﴿يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ أَيْ: فَإِنَّ الَّذِي أَكَلُوهُ نَارٌ تَتَأَجَّجُ فِي أَجْوَافِهِمْ وَهُمْ الَّذِينَ أَدْخَلُوهَا فِي بُطُونِهِمْ.

﴿سَعِيرٗا﴾ أَيْ: نَارًا مُحْرِقَةً مُتَوَقِّدَةً.

وَهَذَا أَعْظَمُ وَعِيدٍ وَرَدَ فِي الذُّنُوبِ، يَدُلُّ عَلَى شَنَاعَةِ أَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَقُبْحِهَا، وَأَنَّهَا مُوجِبَةٌ لِدُخُولِ النَّار، فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّهَا مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِر، نسأل الله العافية»[٣٢].

وَقَدْ عَدَّ النَّبِيُّ ﷺ أَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ مِنَ الْمُوبِقَاتْ أَيْ: الْمُهْلِكَات، وَالعِيَّاذُ بِالله.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» .

قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟

(٣٢) «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَن» «ص١٦٥».

قَالَ : «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، **وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ**، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ»[٣٣].

فَفِي الحَدِيثِ تَحْرِيمُ أَكْلِ«أَمْوَالِ اليَتَامَى، وَاليَتَامَى هُمْ الَّذِينَ مَاتَ آبَاؤُهُمْ قَبْلَ البُلُوغِ سَوَاء كَانُوا ذُكُورًا أَوْ إِنَاثًا، وَهَؤُلَاءِ - أَعْنِي اليَتَامَى - مَحَلُّ الرِّفْقِ وَالعِنَايَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ لِأَنَّهُمْ كُسِرَتْ قُلُوبُهُمْ بِمَوْتِ آبَائِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ عَائِلٌ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَانُوا مَحَلَّ الرِّفْقِ وَالعِنَايَةِ، وَلِهَذَا أَوْصَى اللهُ بِهِمْ فِي كِتَابِهِ وَحَثَّ عَلَى الرَّحْمَةِ بِهِمْ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَلَا يَحِلُّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَأْكُلَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا

---

(٣٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٦٦)، وَمُسْلِم (٨٩).

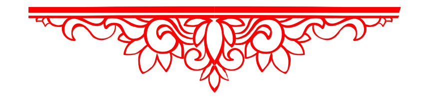
يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

وَيُوجَدُ بَعْضُ النَّاسِ وَالعِيَّاذُ بِالله يَمُوتُ أَخُوهُ وَيَكُونُ لَهُ أَوْلَادٌ صِغَارٌ فَيَتَوَلَّى مَالَهُ وَيُتَاجِرُ بِهِ لِنَفْسِهِ وَالعِيَّاذُ بِالله، وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَبِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ لِلْأَيْتَام، وَهَؤُلَاءِ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الوَعِيدَ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا نَسْأَلُ الله العَافِيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ :١٥٢]، يَعْنِي لَا تَتَعَامَلُوا فِي أَمْوَالِ اليَتَامَى إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن؛ فَإِذَا كَانَ أَمَامَكَ مَشْرُوعَانِ تُرِيدُ أَنْ تُشَغِّلَ مَالَ اليَتِيمِ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى المَصْلَحَةِ وَالرِّبْحِ وَالسَّلَامَةِ فَافْعَلْ، وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ

مَا هُوَ أَسْوَأ لِحَظِّ نَفْسِكَ أَوْ لِحَظِّ قَرِيبٍ أَوْ أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ بَلْ انْظُرْ لِلَّذِي هُوَ أَحْسَن؛ فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ هَلْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ لِلْيَتِيمِ أَمْ لَا فَلَا تَتَصَرَّفْ، أَمْسِكْ الدَّرَاهِم»[٣٤].

وَمَنْ رَأَى مِنْ نَفْسِه الضُّعْفَ فَلَا يَقْرَبَنَّ وَلَا يَقْتَرِبَنَّ، فَهَذَا النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِلْصَّحَابِيِّ الجَلِيل: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**»[٣٥].



(٣٤) «شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِين» (١٤/ ٢٣٩).

(٣٥) رَوَاهُ مُسْلِم (١٨٢٦).

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ (٣٦).

ذُكِـــرْتَ بِـــالْيُتْمِ فِـــي الْقُـــرْآنِ تَكْرُمَـــةً
وَقِيمَـــةُ اللُّؤْلُـــؤِ الْمَكْنُـــونِ فِـــي الْيُـــتَمِ

إِلَى أَحْبَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَقَدْ كَانَ مِنْ تَقْدِيرِ الله تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ خَاتَمَ الأَنْبِيَاء وَالمُرْسَلِين وَسَيِّدَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِين يَتِيمًا.

إِنَّهُ دَرْسٌ عَظِيم لِكُلِّ يَتِيم: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ ﷺ الَّذِي قَلَبَ المَوَازِينَ وَأَخْرَجَ البَشَرِيَّةَ مِنْ بَرَاثِنِ الجَاهِلِيَّة إِلَى جَمَالِ

(٣٦) [سُورَةُ   ].

وَجلَال وَكَمَال الحَنِيفِيَّة: يَتِيم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [سُورَةُ الشُّورَىٰ].

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الحَمِيدِ بْنِ بَادِيس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مَنْ هَذَا الغُلَامُ العَرِبِيُّ فِي عَبَاءَتِهِ؟

مَنْ هَذَا الرَّاعِي الصَّغِير فِي غُنَيْمَتِهِ؟

مَنْ هَذَا الصَّبِيُّ النَّاشِئُ عَلَى الحَمْلِ وَالرِّعَايَةِ مِنْ طُفُولَتِهِ؟

مَنْ هَذَا اليَافِعُ الَّذِي يَأْبَى إِلَّا أَنْ يَعِيشَ مِنْ كَدِّ يَمِينِهِ، وَيَأْكُلُ خُبْزَهُ إِلَّا بِعَرَقِ جَبِينِهِ؟

هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ **يَتِيمُ الأَبَوَيْن**، مَكْفُولُ عَمِّهِ أَبِي طَالِب، الَّذِي كَانَ يَرْعَى غَنَمًا لِأَهْلِ مَكَّة لِقَوْمِهِ وَأَهْلِ بَلَدِهِ بِالقَرَارِيط حَتَّى لَا يَكُونَ كَلًّا عَلَى عَمِّهِ.

هَذَا هُوَ الـمُهَيَّأ بِرِعَايَتِهِ الغَنَم، لِرِعَايَةِ الأُمَم، هَذَا هُوَ المُنَشَّأُ عَلَى الكَدِّ فِي العَمَلِ الصَّغِير، إِعْدَادًا لَهُ لِلْنُّهُوضِ بِأَعْبَاءِ العَمَلِ الكَبِير، هَذَا هُوَ المُرَبِّي عَلَى العَمَلِ بِالفِلْس، لِيَشِبَّ عَلَى خُلُقِ الاعْتِمَادِ عَلَى النَّفْس.

هَذَا هُوَ المُعَدُّ لِخَتْمِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَإِظْهَارِ أَكْمَلِ مِثَالٍ لِلْبَشَرِيَّة، يَحْمِلُ أَعْظَمَ آيَةٍ مِنْ وَحْيِ الله، وَيَدْعُو إِلَى السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّة وَالأُخْرَوِيَّة»(٣٧).

إِنَّهُ دَرْسٌ عَظِيمٌ لِكُلِّ يَتِيم: لَمْ يَكُنْ وَلَنْ يَكُونَ اليُتْمُ يَوْمًا حَجَرَة عَثْرَةٍ فِي طَرِيقِ النَّجَاحِ وَالتَّأَلُّق، والتَّطَوُّر وَالتَفَوُّق.. لِأَحَدٍ مَهْمَا كَان فِي أَيِّ مَكَان، فَقَطْ: «احْرِصْ عَلَى مَا

---

(٣٧) «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِير النَّذِير» (ص٢٦٠).

يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ»[٣٨].

نَشَأَ يَتِيمًا.. إِنَّهَا عِبَارَةٌ تَكَرَّرَتْ وَتَعَدَّدَتْ فِي الكَثِيرِ مِنْ صَفَحَاتِ تَرَاجِمِ العُلَمَاءِ وَالعُظَمَاءِ..

- الصَّحَابِيُّ الجَلِيل الزُّبَيْر بْنُ العَوَّام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت ٣٦ هـ) أَحَدُ العَشْرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّة.
- الصَّحَابِيُّ الجَلِيل أَنَسُ بْنُ مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت ٩٣ هـ) خَادِمُ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- الصَّحَابِيُّ الجَلِيل عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ صَخْرٍ الدَّوْسِي أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت ٥٩ هـ) أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ رِوَايَةً لِلْحَدِيث.
- الإِمَامُ سُفْيَانُ الثَّوْرِي رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٦١ هـ).
- الإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ عَمْرٍو الأَوْزَاعِي رَحِمَهُ اللهُ (ت

(٣٨) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٦٦٨).

١٥٧ هـ).

• الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيل البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٢٥٦هـ) صَاحِبُ أَصَحِّ كِتَابٍ بَعْدَ كِتَابِ الله.

• فِي أَصْحَابِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ المَشْهُورَةِ: الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيس الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٠٤ت)، وَالإِمَامُ أَحْمَد بْن حَنْبَل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٢٤١).

• الإِمَامُ الحافظ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ فِي فُنُونِ العُلُومِ جَمَالُ الدِّين أَبُو الفَرَج عَبْد الرَّحْمَن بن عَلِي المَعْرُوفِ بِابن الجَوْزِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٥٩٧ هـ).

• الإِمَامُ الحافظ ابنُ حَجَر العَسْقَلَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٥٢ هـ) صَاحِبُ أَشْهَر شَرْحٍ لِصَحِيح البُخَارِي: «فَتْحُ البَارِي».

• الإِمَامُ الحَافِظُ عِمَادُ الدِّين أَبُو الفِدَاء إِسْمَاعِيلُ

المَشْهُور بِابْنِ كَثير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٧٤) صَاحِبُ التَّفْسِير الَّذِي هُوَ مِنْ أَشْهَرِ التَّفَاسِير..

- الإِمَامُ العَلَّامَةُ البَحْرُ الفَهَّامَة جَلَالُ الدِّين عَبْدُ الرَّحْمَن السُّيُوطِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٩١١) صَاحِبُ القَلَمِ السَّيَّال الَّذِي أَثْرَى المَكْتَبَةَ الإِسْلَامِيَّة بِمُصَنَّفَاتِه.

- العَلَّامَةُ المُفِيدُ والمُؤَرِّخُ المُجِيدُ مُبَارَك بْنُ مُحَمَّد المِيلِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٦٥هـ) أَمِينُ مَالِ جَمْعِيَّةِ عُلَمَاءِ المُسْلِمِين.

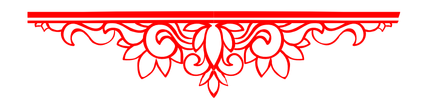
- العَلَّامَةُ المُفَسِّرُ الفَقِيهُ المُحَقِّقُ المُدَقِّقُ عَبْدُ الرَّحْمَن السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٧٦ هـ) صَاحِبُ «تَيْسِير الكَرِيم الرَّحْمَن».

- العَلَّامَةُ البَحْرُ الحَبْرُ المُفَسِّرُ الأُصُولِيُّ مُحَمَّد الأَمِين

الشَّنْقِيطِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٩٣ هـ) صَاحِبُ «أَضْوَاء البَيَان».

- العَلَّامَةُ الزَّاهِد العَابِد عَبْدُ العَزِيز بن بَاز رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٤٢٠ هـ) إِمَامُ هَذَا الزَّمَان.

وَالقَائِمَةُ طَوِيلَةٌ وَعَرِيضَةٌ؛ وَإِنَّمَا أَرَدْتُ الإِشَارَة فِي أَوْجَزِ عِبَارَة، وَكَمَا يُقَال: لَا يُمْكِنُ اخْتِصَار البَحْر فِي قَطْرَة، وَلَا البُسْتَان الفَسِيح فِي زَهْرَة؛ وَلَكِنْ حَسْبِيَ مِنَ القِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالعُنُق، وَمِنَ السِّوَار مَا أَحَاطَ بِالمعْصَم.



مَـجْـهُـولُ النَّـسَـب

إِنَّ الكَلَامَ عَنْ اليَتِيمِ يَسْتَوْجِبُ عَلَيْنَا الكَلَام عَنْ مَجْهُولِ النَّسَب؛ فَإِنَّ الإِسْلَامَ وَإِنْ كَانَ قَدْ حَثَّ عَلَى العِنَايَةِ بِاليَتِيم الَّذِي فَقَدَ أَبَاه فَمَا بَالُكَ بِطِفْلٍ فَقَدَ كُلَّ أُسْرَتِهِ (بِاخْتِصَار)؟!

وَإِنْ قُلْنَا عَنْ اليَتِيم أَنَّهُ مَكْسُورُ الجَنَاح فَهُوَ فَاقِدُ الجَنَاحَيْن.

إِنَّ «مَجْهُولَيْ النَّسَب فِي حُكْمِ اليَتِيم؛ لِفَقْدِهِمْ لِوَالِدَيْهِمْ، بَلْ هُمْ أَشَدُّ حَاجَةً لِلْعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ مِنْ مَعْرُوفَيْ النَّسَب؛ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ قَرِيبٍ لَهُمْ يَلْجَؤُونَ إِلَيْهِ عِنْدَ الضَّرُورَة، وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ مَنْ يَكْفُلُ طِفْلًا مِنْ مَجْهُولِي النَّسَب فَإِنَّهُ يَدْخُلُ

فِي الأَجْرِ المُتَرَتِّب عَلَى كَفَالَةِ اليَتِيم؛ لِعُمُومِ قَوْلِه ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيم فِي الجَنَّةِ هَكَذَا... وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

لَكِنْ يَجِبُ عَلَى مَنْ كَفَلَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الأَطْفَال أَنْ لَا يَنْسِبَهُمْ إِلَيْه، أَوْ يُضِيفَهُمْ مَعَهُ فِي بِطَاقَةِ العَائِلَة؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ ضَيَاعِ الأَنْسَابِ وَالحُقُوق، وَلارْتِكَابِ مَا حَرَّمَ الله، وَأَنْ يُعَرِّفَ مَنْ يَكْفُلُهُمْ أَنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ يَبْلُغُوا سِنَّ الرُّشْدِ فَإِنَّهُمْ أَجَانِب مِنْهُ كَبَقِيَّةِ النَّاس، لَا يَحِلُّ الخُلْوَةُ بِهِمْ أَوْ نَظَرُ المَرْأَةِ لِلرَّجُل أَوْ الرَّجُل لِلْمَرْأَةِ مِنْهُمْ، إِلَّا إِنْ وُجِدَ رَضَاعٌ مُحَرَّمٌ لِلْمَكْفُولِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُحَرَّمًا لِمَنْ أَرْضَعَتْهُ وَلِبَنَاتِهَا وَأَخَوَاتِهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يُحَرَّمُ بِالنَّسَب.

وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ»[٣٩].

وَكَمْ يُعَانِي المِسْكِينُ فِي المُجْتَمَعَاتِ الجَاهِلَةِ لِيَسْمَعَ الكَلِمَاتِ الجَارِحَةَ، وَالعِبَارَاتِ الهَادِمَةَ الَّتِي تَهُدُّهُ هَدًّا وَتُحَطِّمُهُ تَحْطِيمًا، وَتُعَطِّلُ قُدُرَاتِهِ تَعْطِيلًا عَظِيمًا.

أَمَّا إِذَا عَلِمْنَا وَتَعَلَّمْنَا مَا لِهَؤُلَاءِ مِنْ حُقُوقٍ فَإِنَّهُمْ سَيَجِدُونَ الأَيَادِي الآمِنَةَ الشَّرِيفَةَ النَّظِيفَةَ الَّتِي تَحْتَضِنُهُ وَتَمْسَحُ دَمْعَتَهُ، وَتَغْرِسُ فِيهِ رُوحَ الجِدِّ وَالاجْتِهَادِ لِيَكُونَ فِي المُجْتَمَعِ نَافِعًا لَامِعًا.

وَكَمْ رَأَيْنَا - وَللهِ الحَمْدُ - مِنْ أُسَرٍ صَالِحَةٍ احْتَضَنَتْ مِثْلَ هَؤُلَاءِ وَصَارُوا بَعْدَمَا كَبِرُوا صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ.

أَخِي الحَبِيبَ يَا مَنْ حَمَلْتَ عَلَى عَاتِقِكَ هَذِهِ المَسْؤُولِيَّةَ

(٣٩) «فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ» (١٤/ ٢٥٥).

العَظِيمَةِ وَهِي الإِحْسَان وَتَرْبِيته لَابُدَّ أَنْ تَعْلَمَ بَعْض الأُمُورِ المُهِمَّة:

«الوَاجِبُ عَلَيْكَ إِخْبَارُ الوَلَدِ اللَّقِيط وَتخْفِيفُ المُصِيبَة (عَلَيْه).. وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَضُره شَرْعًا إِذَا اسْتَقَامَ عَلَى دِينِ الله، وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُخْفِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَى إِخْفَائِهِ مَفَاسِدَ كَثِيرَة، مِنْهَا: أَنَّهُ يَحْسَبُ (نَفْسَهُ أَنَّهُ) مِنْ أَوْلَادِكَ، وَيَعْتَبِرُ عَصَبَةً لِبَنَاتِكَ وَغَيْرِهِنَّ مِنَ الأَخَوَاتِ وَالعَمَّاتِ كَسَائِرِ أَبْنَائِكَ، وَيُزَاحِمُ أَوْلَادَكَ فِي الإِرْثِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَلَا مَانِعَ مِنَ الوَصِيَّةِ لَهُ بِالثُّلُثِ فَأَقَلَّ، وَإِعْطَائِهِ شَيْئًا مُعَجَّلًا، وَأَبْشِرْ بِالأَجْرِ العَظِيمِ، وَالثَّوَابِ الجَزِيلِ عَلَى إِحْسَانِكَ وَرَحْمَتِكَ»[٤٠].

(٤٠) «فتَاوَى اللَّجْنَة الدَّائِمَة» (١٦/ ١٣).

وَأَمَّا كَفَالَتُهُ:

قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَيَجِبُ عَلَى أَوَّلِ مَنْ يَرَاهُ أَنْ يَأْخُذَهُ؛ لِأَنَّنَا لَوْ لَمْ نَقُلْ بِهَذَا وَقُلْنَا لِلْأَوَّلِ: لَيْسَ هُنَاكَ مَانِعٌ أَنْ تَتْرُكَهُ، وَجَاءَ الثَّانِي وَقُلْنَا لَهُ كَذَلِكَ، فَهُنَا لَا شَكَّ أَنَّهُ سَوْفَ يَضِيعُ الطِّفْلُ، لَا سِيَمَا إِذَا كَانَ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ وَالحَرِّ فَيَحْتَاجُ إِلَى رِعَايَةٍ، أَوْ أَيَامَ الشِّتَاء وَالبَرْد فِي البِلَاد البَارِدَة، فَعَلَى هَذَا نَقُول: هُوَ فَرْضُ كِفَايَة، لَكِنْ يَجِبُ عَلَى أَوَّلِ مَنْ يَجِدُهُ أَنْ يَأْخُذَهُ، إِلَّا إِذَا رَأَى شَخْصًا آخَرَ يَقُولُ: دَعْهُ لِي، فَهُنَا نَقُولُ: حَصَلَتْ الكِفَايَة»[٤١].

---

(٤١) «الشَّرْحُ المُمْتِع» (١٠/ ٣٥٦).

وَفِي الخِتَام:

هَذَا نِدَاءٌ حَانِي إِلَى كُلِّ إِخْوَانِي:

- **أَيُّهَا اليَتِيم:**

إِنَّ اليُتْمَ لَيْسَ عَيْبًا، وَلَيْسَ نِهَايَةُ الحَيَاة؛ فَاسْتَعِنْ بِالله وَتَوَكَّلْ عَلَيْه، وَكَمَا قِيل: «مَنْ فَقَدَ الله مَاذَا وَجَد؟! وَمَنْ وَجَدَ الله مَاذَا فَقَد؟!».

وَكُنْ ذَاكَ الوَلَد الصَّالِح الَّذِي يَدْعُو لِوَالِدَيْهِ لِيَكُونَ
مَعَهُمَا فِي جَنَّاتِ النَّعِيم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ١٧
فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ١٨ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ
وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ
أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِيٍۭ۟ بِمَا كَسَبَ

رَهِينٌ ﴿٢١﴾ [سُورَةُ الطُّورِ].

• أَيَّتُهَا الأَرْمَلَةُ:

أَيَّتُها الأُمُّ الحَنُون وَالوَالِدَةُ الرَّؤُوم ، أَجْرُكِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ، المَسْؤُولِيَّةُ عَظِيمَةٌ فِي عُنُقِكِ، وَالمُهِمَّةُ كَبِيرَةٌ عَلَى عَاتِقِكِ، فَاحْرِصِي عَلَى صَلَاحِ أَبْنَائِكِ، وَأَبْشِرِي فَإِنَّ الله لَا يُخَيِّبُ مَنْ دَعَاه وَالتَجأَ إِلَيْهِ وَنَاجَاه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ].

وَهَذَا خَيْرٌ سِيقَ إِلَيْكِ فَاغْتَنِمِيه، هِيَ مِنْحَة فِي ثَوْبِ مِحْنَة.

جَعَلَنَا الله وَإِيَّاكُم مِمَّنْ قَالَ عَنْهُمْ:

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا

يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [سُورَةُ يسٓ].

• أَيُّهَا الكَافِلُ لِلْيَتِيم:

هَنِيئًا لَك؛ فَقَدْ اخْتَارَكَ الله وَاصْطَفَاك، وَوَفَّقَكَ وَاجْتَبَاك - ثَبَّتَنَا الله وَإِيَّاك - وَأَبْشِرْ بِالخَيْرِ العَمِيم وَالثَّوَابَ العَظِيم.

• إِلَى كُلِّ مَنْ عَلَى فِعْلِ الخَيْرِ فِي تَكَاسُل، وَبَذْلِ أَعْمَالِ البِرِّ فِي تَثَاقُل: اعْلَمْ أَنَّ أَيَّامَنَا مَحْدُودَة، وَأَنْفَاسَنَا مَعْدُودَة، وَمِنْ أَعْظَمِ القُرُبَات تَفْرِيجُ الكُرُبَات عَلَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى المُحْتَاجِينَ وَالمُحْتَاجَات.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى الله؟

فَقَالَ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله أَنْفَعُهُمْ لِلْنَّاسِ، وَأَحَبُّ

الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ: تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا..»[٤٢].

فَلْنَتَدَارَكْ أَعْمَارَنَا بِصَالِحِ أَعْمَالِنَا فَـ «العُمْرُ يَسِيرٌ وَهُوَ يَسِيرٌ، فَأَقْصِرُوا عَنِ التَّقْصِيرِ فِي القَصِيرِ، دَرَاكِ دَرَاكِ[٤٣] قَبْلَ امْتِنَاعِ الفِكَاكِ، حَذَارِ حَذَارِ قَبْلَ قُدُومِ القَرَارِ»[٤٤].

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

---

(٤٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «قَضَاءِ الحَوَائِجِ» (٣٦)، وَقَالَ الأَلْبَانِي: حَسَنٌ لِغَيْرِهِ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (٢٦٢٣).

(٤٣) اسْمُ فِعْلِ أَمْرٍ بِمَعْنَى أَدْرِكْ.

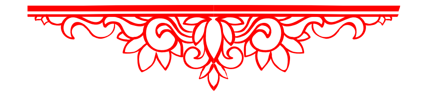
(٤٤) «المُدْهِش» (١/ ٢٧٦).

أَهَمُّ المَرَاجِع

- أَضْوَاءُ البَيَان فِي إِيضَاحِ القُرْآن بِالقُرْآن، مُحَمَّد الأَمِين الشَّنْقِيطِي، دَارُ إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِي، لُبْنَان.
- الآدَابُ الشَّرْعِيَّة وَالمِنَحُ المَرْعِيَّة، شَمْسُ الدِّين مُحَمَّد بنُ مُفْلِح المَقْدِسِي، مَكْتَبَةُ دَارِ البَيَان، سُورْيَا.
- تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن فِي تَفْسِير كَلَام المَنَّان، عَبْدُ الرَّحْمَن بَنْ نَاصِر السّعْدِي، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالة، لُبْنَان.
- سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء، شَمْسُ الدِّين مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَد الذَّهَبِي، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَة، لُبْنَان.
- شَرْحُ رِيَّاضِ الصَّالِحِين، مُحَمَّدُ بْنُ صَالِح العُثَيْمِين،

المَكْتَبَةُ التَّوْفِيقِيَّة، مِصْر.

- فتَاوَى اللَّجْنَة الدَّائِمَة، اللَّجْنَة الدَّائِمَة لِلْبُحُوثِ العِلْمِيَّة وَالإِفْتَاء، الرِّئَاسَةُ العَامَّةُ لِلْبُحُوثِ العِلْمِيَّة وَالإِفْتَاء، السُّعُودِيَّة.
- مَجْمُوعُ فتَاوَى وَمَقَالَات مُتَنَوِّعَة، عَبْدُ العَزِيز بْنُ عَبْدِ الله بْنِ بَاز، الرِّئَاسَةُ العَامَّة لِلْبُحُوثِ العِلْمِيَّة وَالإِفْتَاء، السُّعُودِيَّة.



الفهرس

كتب ومطويات للمعتني

- عفا الله عنه -

تأليف:

- إلى الباحثين عن السّعادة.
- التّوحيد الحلّ الوحيد.
- دمعة قلب.
- من القلب إلى القلب نصائح وتوجيهات للشّاب المسلم.
- يا بني أقم الصّلاة.
- من القلب إلى القلب نصائح وتوجيهات لأخي المهموم.
- من القلب إلى القلب نصائح وتوجيهات لأخي المريض.
- الفوائد المستفادة من دروس الشيخ عادل المقبل (حول السحر والكهانة).
- حدَّثني الشيخ عادل المقبل (قصص حقيقية وأحداث واقعية).
- قلائد المرجان في أحكام السّحر والكهانة من «أضواء البيان».
- الرّقية والرّقاة بين المشروع والممنوع.
- من جميل كلام الإمامين ابن كثير وابن سعدي في تفسيريهما.
- مسائل أبي عبد العزيز الجزائري للعلامة ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- وقفات مع حديث فضل من رزق البنات.
- روائع الكلم من مشكاة الحكم.

- عمل يسير وأجر كبير.
- حلاوة الإيمان.
- من جميل كلام الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره.
- المنتقى النّفيس من جميل كلام الإمام ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- الثواب العظيم في كفالة اليتيم.
- أوصاني خليلي ﷺ.

تحقيق وتعليق:

- النّصيحة الذّهبيّة للأمّة الإسلاميّة، للعلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- كيف تغضّ بصرك، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
- إتحاف الإلف بتفسير آخر آية سورة الكهف، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
- يا حامل الجوال المساجد لها حرمة، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
- حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
- الدّرر البهيّة في الخطب المنبريّة، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
- دعوة النّبيين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

- فضل طلب العلم وآداب طلابه، ومعه سؤال وجواب عن حكم تسمية المناطق بأسماء الأضرحة والقباب، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
- عظات وعبر من وفاة خير البشر ﷺ، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
- منهج يومي لطالب العلم، لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين تعليق الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

مطويات:

- رضيت بالله ربّا وبالإسلام دينًا وبمحمّد ﷺ نبيا.
- بيت في الجنة.
- التّبيان لعلامات السّحرة والكهّان.
- وجبت له الجنة.
- كفى بالموت واعظا.
- غُفر له ما تقدم من ذنبه.
- سورة الفاتحة وقفات وتأملات.
- ماذا بعد فقد الأحبة.
- مختصر الصلاة.. الصلاة.
- تسلية الكئيب بأحاديث الحبيب.
- المعوذتان وقفات وتأملات.

الثَّوابُ العَظِيمُ

في كفالة اليتيم

إعداد

أبي عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف أحمد الحوفي ٠٠٢-٠١٠٠٥٨٣٣٨٥٢


ISBN 978-9931-616-23-8
9 789931 616238

